كلمة الدكتور

عبد الرزاق محيي الدين

رئيس المجمع العلمي العراقي

في افتتاح الحفل بالعيد الذهبي لمجمع اللغة العربية في دمشق

في مساء ٥ من تشرين الثاني ١٩٦٩

في هذه المناسبة الرائعة ، مناسبة الاحتفال بمرور خمسين عاماً على قيام المجمع العلمي العربي — مجمع اللغة العربية في دمشق — تتزاحم على الذهن شخوص فكر ، وجهود رجال . ما أدري كيف أفرق بينها ؛ لأعطي للفكر مقدارها ، وللرجال حظوظها من العمل على تحقيق تلك الأفكار .

الأفكار ذاتها لولا مبدعوها لن يتم لها ظهور ، والرجال ذاتهم لولا أفكارهم لن يقوم لهم وجود متميّز ، فهي بهم تولد ، وهم بها يعرفون ويتميزون .

الأمة الناطقة بالضاد يتجاوز تعدادها عشرات الملايين في كل عصر ، ولكن الذين فكّروا فيها حين عبّروا بها لا يتجاوزون المئين . وهي بهؤلاء ومنهم تستمد النماء والقدرة على البقاء . وهم بمقدار ما تنمو صالحة للبقاء أو قادرة عليه يستمدون البقاء ، والطاقة على امتداد ذكراهم في الحياة .

ولأمر ما نعت أعضاء المجامع بالخالدين ، إيماءً إلى خلودهم بخلود اللغة والفكر ، وذلك لارتباطهم العضوي باللغة والأفكار .

الشام منذ القديم كانت إحدى رافدات هذه اللغة . في عهد الغساسنة كانت مأثورة في قصيدة « للنابغة » أو قصيدة « لحسان » ، أو نقيضة لجرير ، أو خمرية للأخطل ، أو خطبة لخليفة ، أو رسالة لوالٍ أو أمير .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثم عادت إحدى راضعات هذه اللغة يوم بدأت الرواية فالجمع فالتأليف ، وكان لما أنشأ أبناؤها وجمعوا وألّفوا الأثر الخطير في حياة العربيـــة . واستمرت مع التاريخ رافدة تمدّ اللغة بنتاج أبنائها الأصيل ، وسترفده لنتاج الأقطار العربية الأخرى ، ترويه وتجمعه وتصنفه ، وتعود به كتاباً جامعاً ، وبحثاً قيّماً نافعاً ، وهي في حالتي العطاء والأخذ تضرب أحسن الأمثلة لخدمة العربية .

ظلت الشام على مدى التاريخ مرتاداً للشاعر العربي ، يجد فيها ما يجوّد قريحته ، ويرهف حسّه ، ويكسبه من طيبها وصفائها طيباً وصفاءاً وتجلّيا . وكانت كذلك للباحث العربي ، يلقى في فضل خيراتها ، وأروقة جوامعها ، وخزائن كتبها ، وأعلام شيوخها ، ما يكفل مؤنته ويشبع رغبته ، وما يعود به واحداً من أبنائها الأعلام الأثيرين .

حين يضطر ابنها إلى الهجرة عنها مراغماً أو راغباً ، يحمل معه من روحها ونزوعها العربي ما يكون مصدر إشعاع في دار هجرته ، فلم تفتأ أن تتحول نقلة الجسم إلى نقلة الروح والفكر واللسان ، كل ذلك لأصالة نفسه ، واعتزازه بروحه ولسانه العربيين ، ولم يمض طويل وقت حتى نرى آثار هجرته في طلابه وفي مريديه ، وفي وعي الأمة التي هاجر إليها بوجه عام .

يوم دخلت العربية في طور سباتها العميق ، وأغفى أبناؤها على صمت الفكر ، وخفوت الحسّ ، واستعجام اللسان ، كانت « الشام » تتململ ضيقاً بالمهاد الذي شدّت إليه ، وتجفو جنوبها المضطجع الذي مدّت عليه ، وتحلم باليقظة كلما خطف بارق نهضة ، وأومضت طلائع فجر .

حين لاحت بشائر نهضة لغوية وفكرية في مصر ، في أواخر القرن الماضي ، وأوائل هذا القرن نفر أبناء منها يشاركون في أسباب دعمهـا وتقويتها ، يعينونها بكل ما أوتوا من فضل وطاقة ، وتعينهم بكل ما أوتيت

شبكة الألوكة
www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من بسطة وحول ، وكان لتلك الهجرة الأثر الواضح فيما بلغته النهضة اللغوية والفكرية في مصر ، وفي الأقطار العربية الأخرى .

حين أوشك ليل الظلمة أن ينحسر جانب منه عنها وعن الأقطار العربية ، هبت « الشام » تحسر بقيَّة جوانبه ، وتلملم أطراف مضاربه ، وتنفخ ببوق العربيَّة لتبعث الأمَّة من مرقدها وتعيد إليها يقظتها وحسها ولسانها العربي المبين .

حين نبتت فيها نابتة حكم عربي ، بعد لم ترسخ جذوراً ، ولم تورق فروعاً ، بادر أبناء منها إلى الفصحى يمهدون طريقها إلى الأقلام والألسنة والدواوين ، بإقامة مجمعها اللغوي العتيد ، ولقد وفّى هذا المجمع الأمانة في ظروف لو قدّر لغيره أن يمرّ بها ما كان يقوى على البقاء بله الوفاء .

وكانت جهود أعضائه الأوائل - رحمهم الله ، وكتب ما قدَّموا وآثارهم - بما أصّلوا وفرَّعوا ، واستنبطوا واستدركوا ، واصطلحوا وتواضعوا من بعض أسباب ما نشهد من حركة لغوية في أقطارنا العربية .

هذه المناسبة تقتضينا حميد الذكرى لأولئك الأعلام المجاهدين الذين نذروا نفوسهم لإرساء هذا الصرح العتيد ، أول ما بدأت الدولة العربية تبني نفسها في الشام ، في إدراك واع للترابط الوثيق بين قيام دولة وبعث لغة ، وهو تقدير على حتميته كان قد خفي على كثير من المسؤولين أوان ذاك ،

لقد وقف الرئيس الراحل « محمد كرد علي » ورصفاؤه المؤسسون في العقد الأول من عمر المجمع يعمل بإصرار ارتدت معه المعوّقات والمثبطات ، ولقد كان بعض تلك المعوقات والمثبطات يبدو معقولاً مبرّراً لولا إصرار تلك الفئة المجاهدة على تفنيد تلك الذرائع ومصادرتها بذرائع أقوى حسماً عند مواجهة الآراء .

وإذا كان المجمع العلمي العربي قد أدّى بوفاء مهمته في تلك الظروف المستعصية ، فهو جدير الآن بأن يؤدي دوراً جديداً في حياة اللغة يتجاوز ما أدّاه في تلك الظروف . إنه يعيش الآن عهداً أطوع مواتاة ، وأقوى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

استجابة إلى خدمة اللغة والفكر . إن الوعي العربي هنا ليهيء له أو يجب أن يهيّء له كل الوسائل التي تعينه على مواصلة عمله بنشاط وجديَّة تجيء في مقدمة ما يمارسه هذا القطر العربي من نشاط في مختلف شؤون الحياة .

إن مجمع اللغة العربية هنا بما يتحلى به أعضاؤه الأعلام من مزايا ، ثم بما يزخر به هذا القطر من كفايات أدبية وعلمية لجدير بأن يتسع لأكثر مما اتسع له حتى الآن .

إن الظروف الثقافية التي تعيشها الأمة العربية لتستدعي مجامعهـــا أن تكون بمستوى حاجات الأمة وتطلعاتها ، ولن تكون كذلك ما دامت تعيش الكفاف ، وتحيا الجفاف .

ورجائي ـ بل أقول ويقيني ـ في أن سورية العربية ستكون لمجمعها العتيد في طليعة أقطارنا رعاية وإيثاراً ، بخاصة وهي تلتزم العربية لغة علم وفن ، وتبشر بذلك ، وتدعو إليه بقية الأقطار .

لقد شبّ عمرو عن الطوق ، وتجاوزت مهمّات المجامع حدودها الأولى . كان في طليعة مهماتها أن تبرئ لغة الدواوين والصحف مما علق بها من خطأ أو دخيل ، وأن تصلح الأساليب ، وتنفي عنها الصنعة والتكلف ، وقد بلغت العربية المستعملة نصيباً يكبر على هذه الحاجة ويرتفع عنهـا .

كان من مهماتها مواجهة ما سمي يومئذ بالدعوات التجديدية ، التي ظهر لها دعاة ومشايعون ، مثل الدعوة إلى إحلال العامية محلّ الفصحى ، بحجَّة أنها أقرب إلى نفوس المواطنين ، وأيسر في التعبير عما في تلك النفوس ، وكدعوى عجز العربية عن استيعاب ما جدّ في شؤون الحياة ، وتخلّفها في الميدان الحضاري ، لهذا فهي جديرة بالإغفال ، أو جديرة بقبول الدخيل ، قبولاً يتسع لأن تطغى الدخيلة على الأصيلة . وكدعوى الضيق باعراب أواخر الكلم ، وعجز المتحدث والكاتب عن أن يفي التزاماتها إلا بجهد كبير .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

تلك وسواها قضايا واجهت رجال الفكر الحريصين على الحفاظ على هذه اللغة . ورجال المجامع بخاصة واجهوها بما كسر من حدتها ، وضعّف من حجتها ، وماتت أو كادت أن تموت إلى غير رجعة .

لقد آمن رجال العلم في غالبيتهم ، وعلى اختلاف معارفهم ومدارسهم بقدرة هذه اللغة على البقاء والوفاء ، وشارك كثير منهم مشاركة جادّة وقيّمة في عضوية المجامع اللغوية ، بما وضعوا أو تواضعوا عليه من مصطلحات ، وعاد أكثر من جامعة يولي العربية مكاناً في تدريس العلوم ، والمكان الأوّل في تدريس العلوم الإنسانية .

ومع أننا ما نزال في بداية الطريق ، وأمامنا أشواط بعيدة في هذا المضمار ، إلا أننا وضعنا خطواتنا على الطريق السويّ ، وتخلصنا من نزعة الخوف والتهيب من أن نسير عليها ، وقد كان الخوف أسلمنا إلى العجز ، واتهام لغتنا بالقصور .

إن المجامع اللغوية كانت تبدو لجمهرة العلميّين وكأنها مؤسسات تعمل لتبعث الحياة في موات أكبر الظن ألاّ تعود له حياة ، وكانت المجامع ذواتها تعمل بأمل ضعيف في قدرتها على إحياء هذا الكائن حياة فاعلة ومنفعلة ، وغالب ما كانت ترجوه المحافظة على ما فيه من رمق حياة .

أما الآن فقد اختلفت النظرة أيّما اختلاف فجمهرة العلماء ينظرون إلى مجامع اللغة في رجاء موثّق بجدواها ، وبضرورة قيامها على ما يواجهون من مشاكل التعبير . وهذا الاتحاد العلميّ العربيّ المنعقد في دمشق الآن خير شاهد على ذلك . فقد شهدناه يوزع جهده بين فكرة اهتدى إليها ، ولفظة موائمة تصلح وعاءاً لما اهتدى إليه ، والهيئات الفنية والمؤسسات الشعبية تلجأ إلى المجامع اللغوية ، تستعين بها لسدّ حاجتها ، وتستفتيها بما تصالحت عليه من مواضعات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا الوعي العام الذي انتشر في أقطار العربية ليهيّئ للمجامع اللغوية ظروف عمل موائمة ما كانت تتهيأ قبل عقود من السنين .

ويجيء في تعداد الهيئات للقدرة على مواجهة هذه الظروف عدة أمور :

في طليعتها توثيق الروابط بين الجامعات والمجامع توثيقاً تحدده طبيعة الصلة العضوية بين الفكرة والعبارة ، والمفهوم والمنطوق .

يتلو ذلك توثيق الروابط بين المجامع والمجتمعات توثيقاً تقرره وتحدده طبيعة الصلة العضوية بين اللغة والمتحدثين بها ، فاللغة تراد لهم ، ويحسن أن تنتزع منهم ما كانت استعمالاتهم سليمة موافقة لأصول العربية ، ويجب أن توائم مشاربهم وأذواقهم متى أردنا لها صفة الذيوع والبقاء .

ثم توثيق الروابط بين المجامع اللغوية العربية توثيقاً تحدده أيضاً طبيعة الصلة بينها ، وهي صلة لو أغفلت ولم تعط نصيبها من الإحكام لم يعد أيّ مسوّغ لتعددها بل يكون تعددها وتكثرها ضرراً على العربية ، وسبباً من أسباب البلبلة والضياع .

مما عيبت به العربية في القديم كثرة الألفاظ المترادفة على معنى واحد ، وكثرة الألفاظ المشتركة بين معاني مختلفة ، يصل الخلاف بينها إلى حدود التضاد ، بحيث يكون اللفظ للشيء وضدّه ، بل ولنقيضه أحياناً .

هذه الظاهرة اللغوية ستكرر في عصرنا حين تتعدد المجامع اللغوية ، وحين ينفرد كل منها بعرف واصطلاح ، وسيقال يوماً عن لغتنا المعاصرة : هذه لغة شامية ، وذاك مصطلح مصريّ ، وتلك عراقيـة وهلمّ جرّاً في تعداد بقية الأقطار حين تنشأ فيها مجامع ومواضعات .

أيّها السادة :

لقد كنا ننقسم قبائل وبطوناً وأفخاذاً فانقسمت لغتنا ، وتعدّدت لهجاتها ، واختلفت مفاهيم مفرداتها ، ونحن الآن ـ والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

سواه - ننقسم أقطاراً أشرفنا أن نبلغ بها عدد القبائل والبطون والأفخاذ، فإذا قبلنا للغتنا أن تعدد تعدد هذه الأقطار فالضياع لها كل الضياع.

نحن نعيش الترادف والاشتراك والتضاد والتناقض أحياناً في حياتنا السياسية فجدير بالمجامع أن تلغي ذلك في حياتنا اللغوية.

لست بسبيل أن أضع صورة كاملة للتخطيط والتنسيق، ولكني أنوّه بضرورة التنسيق، تاركاً وضع الصورة الكاملة إلى المجامع الثلاثة، منوّهاً بأن المجمع العلمي العراقي يهمّه وبسرّه أن يتم التناسق في اطراد نبلغ به حدود التوحيد.

وفي رأيي المتواضع أن يكون هناك مجمع لغوي واحد، تمتدّ له في الأقطار العربية المهيأة لذلك وحدات يرتبط بها وترتبط به ارتباطاً وثيقاً، فيما تخطط له من أعمال، ثم يكون لها مؤتمر دوري واحد فيما تستصدر من مقررات.

أستأنف أيها السادة الأعلام تهنئة للشعب العربي في سورية بأعياده العلمية ومثلها للشعب العربي في كل مكان بأعياد سورية الحبيبة له، العزيزة عليه، وتحية تقدير إلى القوامين على إدارة أسبوع العلم فيها، وإبلاغه هذا المستوى من التخطيط والتنسيق.

وأنتم يا سادتي الأعلام رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق ويا أعضاءه أقدم لكم باسم المجمع العلمي العراقي وباسمي أطيب التمنيات، وأصدق الدعوات في أن يكلل الله جهودكم بتوفيق منه، وأن يمدّكم بحوله وعونه حتى تبلغوا بمجمعكم ما تتمنون ونتمنى له إنّه وليّ التوفيق.

عبد الرزاق محيي الدين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net